النظريات التقويمية للحكم الجمالي في الفلسفة المعاصرة

م.م. بيداء داود سلمان

كلية التربية للبنات– جامعة البصرة

الكلمات المفتاحية: الذاتية، الموضوعية، الذاتية الموضوعية

الملخص:

نحاول في هذا البحث تسليط الضوء على (النظريات التقويمية للحكم الجمالي في الفلسفة المعاصرة)، وذلك نتيجة الخلاف الظاهر بين مدارس علم الجمال، حيث بدأ العديد من الفنانين والفلاسفة بإجراء مقارنة بين الجماليين وترجيح أحدهما على الآخر، فنجد أنفسنا أمام رأيين، الأول يفضل الجمال الفني أي (الذاتية، وهي أحد اتجاهات التعبير الفني في مواضيع مختلفة،إذ كان لها أثر في الفن الحر) ، والثاني يؤيد جمال الطبيعة أي (الموضوعية الذي تتناول العمل الفني وحده، الذي لا يتلقى المشاهد منه أي اشارة).أما النظرية الذاتية الموضوعية (التوفيقية) فكانت متجنبة أي موقف متناقض من هذين الموقفين، للسير في الوسط بين النظريتين المتناقضتين ،مستفيدة من الإنجازات الإيجابية لكلتا النظريتين .

المقدمة:

يعني هذا البحث ببيان (النظريات التقويمية للحكم الجمالي في الفلسفة المعاصرة)، وقد تنوعت روافد البحث بين كتب فلسفية تخص فلسفة الجمال، ومصادر أخرى بحسب ماتتطلبة الدراسة في بحثنا هذا.

لقد عني البحث أيضاً ببيان أبرز النظريات التقويمية للحكم الجمالي وهي (الذاتية، الموضوعية ، الذاتية الموضوعية)، وأوضح مفهوم كلا منهم.

تمثل الذاتية ، هي أحد اتجاهات التعبير الفني في مواضيع مختلفة، إذ كان لها أثر في الفن الحر.

والموضوعية الذي تتناول العمل الفني وحده، الذي لا يتلقى المشاهد منه أي اشارة.

أما الذاتية الموضوعية (التوفيقية) متجنبة أي موقف متناقض من هذين الموقفين ، للسير في الوسط بين النظريتين المتناقضتين، مستفيدة من الإنجازات الإيجابية لكلتا النظريتين .

لذا قد أقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على ثلاثة مباحث كانت هي المرتكز الأساسي للنظريات التقويمية للحكم الجمالي في الفلسفة المعاصرة هي:

المبحث الأول: النظرية الذاتية

المبحث الثاني: النظريةالموضوعية

المبحث الثالث: النظرية الذاتية الموضوعية

التمهيد :

قبل الخوض في الحديث عن (النظريات التقويمية للحكم الجمالي في الفلسفة المعاصرة) ينبغي لنا في البدء أن نتطرق إلى مفهوم الجمال ،أن أول من صاغ هذا المصطلح هو بومجارتن ،وهو مأخوذ من كلمة يونانية تعني الإدراك الحسي ، ثم سمي الإدراك بالشعور. (ينظر:وهبه، 2007 ، ص248) .

وعلم الجمال في الأصل مفهوم فلسفي يدرس ويحلل شروط ومعايير الجمال ، ونظرياته في الذوق الفني، والأحكام القيمية المتعلقة بالآثار الفنية. وله قسمان: قسم نظري عام (يبحث في الصفات المشتركة بين الأشياء الجميلة التي تولد الشعور في الجمال، ويحلل هذا الشعور تحليلاً نفسياً، ثم يفسّر طبيعة الجمال تفسيراً فلسفياً، ويخصص الشروط التي يتميزبها الجميل من القبيح.)، وقسم عملي خاص (يبحث في مختلف صور الفن، وينقد نماذجه المفردة. ويطلق على هذا القسم اسم النقد الفني)(ينظر: الدحاني ،2020، ص7) .

أما الخلاف الظاهر بين مدارس علم الجمال ، إذ يقال في الغالب إن موضوع علم الجمال هو دراسة الجمال وطبيعته ، حيث بدأ الصراع بين الذاتيين والموضوعيين ، بين المثاليين والواقعيين الى آخر المواقف التي سجلها تاريخ هذا العلم (ينظر:أبو ريان،1993 ،ص111) .

فالمسألة الجوهرية في علم الجمال تتخذ في الغالب صورة تسا ؤل ؟

هل هذا الشيء جميل في ذاته ، لأن موضوعه هو جميل بقطع النظر عن علاقتي بيه؟

أم أنه جميل من وجهة نظري ، أي انه يبدو بالنسبة لي جميلاً؟

أم أن المسألة متداخلة بتشابك فيها الموضوع مع الذات ؟

إمام هذه الاسئلة انقسمت النظريات التقويمية إلى مجموعتين رئيستيين هما : النظرية الذاتية ، والنظرية الموضوعية ، والنظرية الثالثةوهي(النظرية الذاتية الموضوعية) التي تحاول أن تجمع بين (الذات والموضوع)، وسوف نشرع في دراسة هذه النظريات(الصباغ،1998، ص150) .

النظريات التقويمية بين الحكم الجمالي

المبحث الأول: النظرية الذاتية :Subjective theories

أولاً :الذاتية لغة واصطلاحاً:

الذاتية لغة:

جاء في المعجم الوجيز: ذات الشيء ، حقيقته وخاصته. يقال عيب ذاتي : جبلي وخلقي : ويقال في الادب نقد ذاتي نقد يرجع الى اراء الشخص وانفعالاته. (مدكور ،1994، ص245).

أما الذاتية اصطلاحاً:

قبل الخوض في الحديث عن مفهوم الذاتية، يتبادر الى ذهن الباحث بعض المصطلحات القريبة له من حيث المعنى ومن أبرزها (الذاتية) هي ما تخص الفكر البشري وحده. (وهبه، 2007 ،ص302).

وبهذه الصورة قد أختلفت الآراء حول مصطلح (الذاتية) إذ هناك معان عدة منها: (سعيد،2004، ص205):

1-الفردي، وهو ما يخص شخصاً واحدا دون غيره.

2- الداخلي ، أي الموجود في الذهن ، ويقابله الخارجي والتجريبي .

3- الوهمي، كالاكتساب .... الذاتية التي يتوهمها الشخص من غير أن يكون لها في العالم الخارجي ومايقابلها .

وهذا ما أكده صاحب معجم لالاند عندما قال : الذاتية هي الفكرة القائلة بعدم وجود حقيقة مطلقة، حقيقة بذاتها وان كل يقين هو شخصي محض ، لأن كل حقيقة هي حقيقة ذاته بحتة(ينظر:لالاند،2001 ، ص1351).

يتضح لنا، بنا على ما سبق أن أغلب أصحاب المعاجم والموسوعات قد ربطوا بين (الذاتية ،والفردية ، والوهمية) إذ كونها تشير إلى عدم وجود حقيقة مطلقة ، أي حقيقة ذاتية بحتة.

أما في علم الجمال ، فقد انبثقت النظرية الذاتية للرد على التجاوز الشديد في تصوير الجمال ، وتقويمه (ينظر:أبو ريان،1993 ، ص117)، أو بمعنى آخر رداً على النظرية الموضوعية في إظهار الجمال (ينظر: عباس ، 1983 ، ص314).

كما يشير هذا الاتجاه إلى أن التجربة الجمالية نسبية في تحديد مفاهيم الجمال بشكل كبير. حيث كان لها تأثير على الفن الحر، والفن التشكيلي ،حيث تأثر الفنانون بشكل كبير بها ،فأصبح العمل الفني نتاج ممارسة الفنان لحريته واحساسه العميق بذاته الفنية ،حيث وصل هذا الاتجاه في الفن الي أقصى حدوده في التجريد المحض فن . (ينظر :ياسين، 2020، ص4-5).

ثانياً: أبرز ممثلي الذاتية

ومن ممثلي هذا الاتجاه الذاتي في فهم الجمال "تولستري" إذ يرى ان قيمة الاثر الفني الحقيقي ترجع الى تأثيره اولا واخيرا بمن يدركونه. فجمال الأثر الفني يتجه على عدة حيثيات منها: أولاً، على أساس تقدير الناس له . ثانياً، أن قيمة الأثر الفني تزداد بإزدياد عدد المعجبين به والمتذوقين له، لأن الجمال في حقيقة أمره ليس ظاهرة موضوعية بل هو مرهون بالتأثير الذي يحدثه في نفوس مشاهديه. ثالثاً، ويتعلق بشخصية الفرد ومستواها الثقافي والحضاري ، وهو ليس عاما مطلقا لا يتقيد بزمان ومكان(ينظر:أبو ريان،1993 ، ص117) .

لذا فقد اتجه تولستري إلى أن الانسان يستطيع أن ينقل أفكاره إلى الآخرين عن طريق الكلام، في حين أنه ينقل اليهم عاطفته ومشاعره عن طريق الفن، وعلى هذا النحو (أصبح الفن عنده هو مجرد اداة لتوصيل العواطف بين الأفراد يتحقق عن طريق ضرب من التناغم لوجداني فيما بين بني البشر) على اختلاف أجناسهم وألوانهم وحضاراتهم(ينظر :عباس، 1987، ص314-315).

اما سانتيانا فقد ينظر إلى الجمال بأنه وسيلة من وسال السعادة ، وأداة للتعبير الذاتي عن الانسان وهو نوع من اللذة، لكنها ليست لذة فيزيقية، وليست عامة، وإنما هي لذة مرتبطة بالشعور ، لذا فهي لذة تختلف عن اللذات الجسدية فاننا عندما نشعر باللذة الجمالية على ذواتنا على العكس من اللذات الأخرى التي تشبع حواسنا وغرائزنا، ـ على سبيل المثال فالمصور لا ينظر إلى الينبوع كأنسان ضامئ ولا ينظر إلى المرأة الجميلة نظرة حيوانية. لأن اللذة الجمالية بعيدة عن الأهواء الشخصية(ينظر :الصباغ، 1998، ص152).

ثالثاً: إيجابيات الذاتية:

هناك مجموعة من الإيجابيات التي أسهمت في بروز النظرية الذاتية أهمها: (ينظر :الصباغ، 1998،ص151-152).

1-النظرية الذاتية ترى لا اهمية لخواص الموضوع الجمالي لأن ما يهمها هو الاستجابات المتباينة تجاه الموضوع وعندما يقرر ناقد ما بأن هذا تصوير جميل ، فأن هذا يشير الى علاقات متباينة بين "ذاتية " وبين الموضوع الجمالي وعادة ما تكون الميل او الاستمتاع الجمالي.

2-تعتبر ابسط النظريات الذاتية هي التي ترى بان القول "س" ذو قيمة جمالية يعني حسب الاستمتاع ب س" وان خبرة جمالية تتولد كاستجابة ل "س "، وهذا الحكم يتعلق بالملاحظ شخصيا ، اي وبذلك يكون الملاحظ هو الحكم النهائي على قيمة الموضوع الجمالي.

3- كما يشير الحكم الجمالي او حكم الذوق الذي يرتكز على أسس ذاتية ،هو حكم تركيبي يضيف الى الموضوع محمولا ،وهو الشعور باللذة او الالالم ولا يمكن البرهنة عليه لأننا لا يمكن حصر جميع الافراد اللذين يحكمون على الموضوع الجمالي.

4-لا يمكن البرهنة على الحكم القبلي بإظهار ان الموضوع هو تمثيل عام للذوق فهو يختلف من فرد الى اخر وبالنسبة للفرد من وقت الى اخر ايضا .

5- كما يرى سانتيانا ان الجمال وسيلة من وسائل السعادة ، واداة للتعبير الذاتي عن الانسان. وهو نوع من اللذة لكنها ليست لذة فيزيقية ، وليست عامة بل هي مرتبطة بالشعور.

رابعاً:سلبيات النظرية الذاتية:

عبر النظر إلى نظرية الذاتية نلاحظ جملة من السلبيات أهمها: (ينظر :الصباغ،1998،ص153-154).

1-تتفاوت مستويات الاشخاص في التذوق الجمالي ، ان هذا لا يلزمنا بآراء من هم اكثر حساسية كما ان الذوق السليم ليس هو ذوق شخص معين ولكنه هو ذوقي او ذوق من يتفقون معي في الرأي ، لأنني ليس بو سعي اثبات هذا الذوق افضل من ذاك بعيدا عن تصوري للذوق الذي يضع في اعتباره ذوقي الخاص.

2-اننا لا نستطيع ان نثبت للذين يرون موضوعا ما "غير جميل" انه غير ذلك، كما ان الاجماع لا يثبت شيئا على الاطلاق .ايان تشابه احكام بعض الناس يبدو نتيجة للتشابه في تكوينهم لأن الحكم ذاتي بالضرورة.

3-وقد يرى البعض ان" س "ذو قيمة جمالية يجب ان لا تطلق بشكل عام ، بل يجب ان يكون مشروطا بظروف معينة ،لأن الحكم تعبير عن الذات في علاقتها بالموضوع .معنى ذلك يمكن ان تتغير حالة الذات وبالتالي يتغير حكمها على الموضوع.

المبحث الثاني: النظرية الموضوعية

أولاً: تعريفها

ينظر إلى الموضوعية بصو ر ة عامة هي اتجاه عقلي لرؤية الأشيا ء على حقيقتها ، حيث لايشوهها النظر الضيق، أو المنحاز. (ينظر: الحنفي، 2000،ص856).

أما في علم الجمال فتتطرق إلى العمل الفني وحده، الذي لا يتلقى المشاهد أي اشارة منها.(ينظر :عوض، 1994، ص134) .

كما تمثل الموضوعية الجمالية التي تستلزم وجودالجمال داخل الظاهرة الجمالية،بغض النظر عن وجود عقل يدكها ، لذلك نر ى أن هؤلاء العلماء يجمعون على اتفاق الآراء بين جميع الناس على مستوى الجمال وتحقيقه في الظاهر ة ، لذلك يطلق عليها الرأي العام أو المطلق الذي يرد أذواق الناس جميعا إلى وحدة عامة تتعلق بمستوى الجمال الموجود في الشي نفسه وهو ما يعر ف بالموضوعية الجمالية .(ينظر :عباس ، 1987، 312ص).

كما تسمى بالنزعة المطلقة ، لأنها تقوم على الأعتقاد الذي نراه لدى الذهن العادي ، إذ ترى القيمة كامنة في العمل .(ينظر :ستولنيتز، 2007، ص578) .

ثانياً: أبرز ممثلي الموضوعية

ومن ممثلي هذا الاتجاه الموضوعي، بومجارتن الذي كانت وجهة نظره تدور حول نظرية المعرفة. ويعتقد أن هناك قوى للمعرفة، بعضها أعلى، والبعض الآخر أقل. فالأولى عقلاني ، والثاني حسي . فالقوى الأولى، أي العقلانية، تقوم على أفكار واضحة وتلجأ إلى علم المنطق ، والقوى الثانية ، الحسية تقوم على أفكا ر غامضة وتلجأ فيما عدا ذلك إلى احكام الذوق (عوض، 1994،ص253). حيث نجده يضع علم الجمال في وضع جديد ومتقدم ، ويدرس في تقييم الادراك الحسي للإنسان (ينظر :عباس ، 1987،ص124). ويرى إن الآرا ء الحسية تقودنا إلى معرفة ما هو را ئع وكمال يفهم عن طر يق الحواس ، والقبح هو ما ينافي هذا الكمال. (ينظر :عوض، 1994، ص253).

ثالثاً:اتجاهات النظرية الموضوعية

وقد تم التعبير عن هذا الاتجاه بثلاث طرق على النحوالتالي: النظرية الحدسية ، نظرية الخواص المصاحبة ، النظرية التعريفية .

أولاً:النظرية الحدسية:

الحدس: هو مصطلح ينتشر استخدامه سواء داخل مجال الفلسفة أوخارجه،على سبيل المثال . مثلاً في كلامنا عن قوة الحدس عند المرأة ، الذي يدرك أد راك مباشر. فضلاً عن ذلك أد راك المتصوف الله بالحدس ، فإنه يصف تجربته بعبارات حسية ... ، لذا فإن موضوع الحدس لا يعرف بالاستدلال ... أما عندما تدرك المرأة المحبة والمراهن في سياق الخيل شيئاً "بالحدس" كأن تدرك الأولى ان الرجل يحبها حق . (ينظر :ستولنيتز، 2007،ص589).

والغر ض منها هو وصف طريقة شعورنا في التجربة الجمالية .لأن قيمة العمل شيء يدرك مباشرة، ونحن لا نستنتج ذلك وحينما ندرك سمة القيمةلا يمكننا أن نشك في وجودها . (ينظر

:ستولنيتز، 2007، ص590).فحكم القيمة الإيجابي يكون صحيحاً إذا كان العمل يتصف فعلا بسمة القيمة ، والحكم السلبي يكون صحيحاًإذا لم يكن يتصف بها (ينظر :ستولنيتز، 2007، ص590).

تستند هذه النظرية على أن الشخص ذو الذوق السليم لديه القدرة على إدراك خاصية الجمال في الموضوعات الجمالية ،وحكمه على الموضوع الجمالي هو الحكم الصحيح . (ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص158) .

ومن مميزات هذه النظرية ، إنها تميز الموضوعات الجمالية التي تعطي الموضوعات قيمها .وهذه الخاصية لا يتم التعرف عليها ألا عن طريق "الحدس" ،ولا يتم تحديدها بأي اختبار تجريبي، لأنها خاصية بسيطة لا تحتاج إلى استدلال او استنتاج. (ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص158).

ومن سلبيات هذه النظرية غير قابلة للتعميم ،لأن الحدوس تختلف باختلاف الأشخاص مما يعيد هذه النظرية إلى الاتجاه الذاتي.وفقا على حد قول آير يحتاج الحدس إلى معيار ليحكم به على الحدوس المتناقضة . فضلاً عن ذلك يفقد الحدس قيمته الموضوعية وقدرتها على التعميم . (ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص159).

ثانياً : نظرية الخواص المصاحبة

أما نظرية الخواص المصاحبة : فقد أدركوا أن هناك خواص معينة متصلة بالجمال توجد معه وتختفي باختفائه. لذا يمكن اعتبارها علامات على وجودة أو عدمه . حيث رأى أصحاب هذه النظرية فضلاً عن القوانين الخاصة بكل مجال من مجالات الفن ،هناك قوانين عامة تطبق على كل موضوعات الجمال . (ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص159).

وترتكز هذه النظرية على القوانين المرتبطة بالخائص المصاحبة للموضوع الجميل وهي: الوحدة ،والتعقيد، والكثافة، حيث يتم الحكم على الموضوع بالجمال، أو عدمه . نتيجة الحصول على هذه الخائص أو عدم الحصول عليها. (ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص159).

إلا أن اصحاب هذا الاتجاه غالبا ما يبالغون ويجعلون من احد العناصر أساس التقييم ، فكانت الوحدة (التي يتم اختزالها أحيانا إلى مجرد التناسب) هي الفيصل ، وأي انتهاك لقوانين التناسب كان يعتبر خروجا عن مبدأ التناسب. (ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص159).

ولم تنشأ هذه القوانين من مجرد تشريح الجسد البشري . وإنما تم تطوير هذه القوانين من دراسة الأعمال الفنية ، واستخلاص النسب التي تبين أنها تعطي متعة جمالية، واعتماد النسب الصحيحة أو المثالية . (ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص160).

وقد حاول بعض أصحاب هذه النظرية الدفاع عن الوحدة العضوية كبديل للتناسب الصلب، الذي يسمح بقوانين متعددة للتناسب. (ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص160).

وهكذا ،فإن هذه النظرية رغم محاولتها الخروج من المأزق الذي وقعت فيه النظرية الحدسية إلا أنها لم تخلو من العيوب ،لأنها اعتمدت على عدم تعريف الجمال وإدراكه بالحدس ، لذلك لم تكن قابلة للتعميم ، ولا تتسم بالموضوعية التي تصورها. (ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص160).

ثالثاً: النظرية التعريفية

التعريفية ، أحد اتجاهات النظرية الموضوعية الذي ترى في كثير من الأحيان، أن الجمال ينحصر في نفس جوانب العمل التي تناولتها النظرية. (ينظر :ستولنيتز، 2007، ص600).

تسعى إلى تجنب أخطاء النظريتين السابقتين أي(النظرية الحدسية، نظرية الخواص المصاحبة)،حيث جعلت الجمال ممكن التعريف، وأن حكمنا على شيء بأنه جميل يعني قدرتنا على إثبات الجمال له . فضلاً عن ذلك فقد رأت ان القيمة الجمالية هي صفة تشكيلية وأنها تقتصر على نفس جوانب العمل التي تعدها النظرية السابقة "نظرية الخواص المصاحبة " مثل الوحدة، والتناسب ،والكثافة ... ألخ . (ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص160-161).

وتعتقد هذه النظرية أن الوعي بالجمال لا يتطلب موقفاً معرفياً غير عادي ، ولا نحتاج إلى الشعور باللذة أو السعادة حتى نتمكن من الحكم على شي ء ما بأنه جميل ، وإنما يمكن الحكم عليها حتى في غياب التجربة الجمالية ، وذلك باستنادها على نوع من تقدير الذات . (ينظر: الصباغ ، 1998 ، ص161).

أن تنوع الأعمال الفنية والاختلاف في مجالات الفن،والتفاوت الكبير في الأساليب والمناهج المتبعة في الفن عبر التاريخ، يجعل من الصعب الوصول إلى خصائص مشتركة بين جميع الموضوعات ذات القيمة الجمالية في مجالات الفن . (ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص162).

اما النظريات الموضوعية فقد ركزت على الموضوع فقط، بعيدا عن إدخال دور الملاحظ ضمن التقدير الجمالي، من خلال تفرع بين(الحدسية، والخواص المصاحبة، والتعريفية) قدأهملت كل شيء ماعدا الموضوع الجمالي ، لذا فقد كانت تفتقد إلى التعبير الدقيق عن تقييم القيمة الجمالية . (ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص162).

رابعاً :سمات النظرية الموضوعية

وقد حددت النظرية الموضوعية مجموعة السمات، من أبرزها :

1-لا تشتمل النظرية الموضوعية على اي اشارة الى المشاهد ، او إلى اي شيء اخر سوى العمل الفني ،مع إثبات الخصا ئص والصفات الكيفية للموضوع الجمالي بغض النظر عما اذا كان الشخص ما او مجموعة من الناس يميلون او لا يميلون اليه فالقيمة الجمالية كامنة في الموضوع الجمالي وخواص هذا الموضوع خواص موضوعية بمعنى انها مستقلة عن اي شيء اخر وغير علائقية.(ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص157) .

2- يرى أصحاب الاتجاه الموضوعي استحالة تعميم هذا الحكم ورفعه إلى مستوى المعيار .لأن المعيار ينبع من الشي ذاته لكي يكون عاماً ، اي ينبع من الموضوع الجمالي، فالحكم الجمالي ليس حكما يتعلق بي أو بأي شخص آخر ، وإنما يتعلق بالموضوع وخواصه .(ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص157) .

3-وقد رأى ممثلو هذا الاتجاه انه إذا كان الموضوع يملك صفة كونه جميلا ، فإن جماله لا يتأثر بأي شي يحدث في ذهن من يد ركه ، أو أي شي ء يتعلق بالمدرك بصفة عامة . والجمال في الأثر الفني لا يتأثر سواء وجد من يد ركه أو لم يوجد (ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص157-158)

4- كما نرى أن اللغة ليس المبرر الوحيد الذي ترتكز عليها (النظرية الموضوعية). وأنما ترتكز أيضاً على الحقيقة التجريبية المألوفة، التي ترى أن بعض الموضوعات ترغمنا ، لكونها جميلة أو رشيقة في ذاتها ، على التطلع إليها فالقيمة الجمالية .(ينظر :ستولنيتز، 2007، ص578) .

5- الجمال عند اتباع هذه المدرسة يكون له وجود موضوعي وله صفات أو خصاص موضوعية مستقلة عن العقل الذي يدركه.، بل يأتي من الخارج ويفرض نفسه على ذهن المتأمل بحيث لا يستطيع تعديله. ولهذا وحسب وجهة نظر هذه المد رسة- فإن الناس جميعاً متفقون في تذوق الشيء الجميل والاستمتاع به في كل الأوقات والأماكن. (ينظر :أبو يان ،1993 ، ص114).

خامساً: سلبيات النظرية الموضوعية

هناك العديد من السلبيات للنظرية الموضوعية ، ومن أبزها:

1-لقد نفي أصحاب النظرية الموضوعية وجود التباين بين الناس ،لكن إذا طرحت عليهم الأفكار المتعارضة الذي يعبر عنها الناس حول المواضيع المتشابهة ،حيث نجدهم يقولون بأن هذه الآراء جاءت نتيجة إلى التقارب مع مرور الزمن ، فضلا عن ذلك أن هناك الكثير من الفنانين من كان محبوبا على نطاق جماهيري واسع ، ألا أن مع مرور الزمن أسس عليه ستاراً من النسيان ،لكن الفنانين العظماء يظلون باقين في ذاكرة الجمهور.(ينظر :الصباغ ، 1998 ، ص158) .فضلاً عن ذلك فهم يرون أن الخلافات تتجه بمرور الزمن أو في المدى الطويل إلى الزوال وتتقارب للإفكار

سوياً . وهناك عدة امثلة لفناني : كانوا محبوبين على نطاق جماهيري في أيامهم. (ينظر :ستولنيتز، 2007،ص582).

2-أن هناك وقائع معينة تم ذكرها من أجل نقد النظرية الموضوعية، حيث يمكن تقدير هذه الوقا ئع التي ترى أن الناس لا يتفقون على أصالة الأعمال الفنية أو رد ء اتها. لأن لو كان الجمال في الموضوع، فلماذا لا نجده جميعاً فيه؟ ولو أمكن تحقيق أحكام القيمة بطريقة حاسمة، فكيف ظل الناس متمسكين بأحكام مضادة؟ والواقع أننا لا نختلف على شي ء بقد ر ما تختلف على الفن.(ينظر :ستولنيتز، 2007، ص581).

3-كما أن حقيقة الاتفاق والاختلاف معقدة إلى حد بعيد. والأهم من ذلك أن ماتثبته هذه الوقا ئع ، في صف النظر ية الموضوعية أو ضدها، ليس واضحاً بصو رة مباشرة. (ينظر :ستولنيتز، 2007،ص581).

4- كما يرد أصحاب النظرية الموضوعية على خصومهم الذين يؤكدون على تقلب القيم وتغيرها من زمن لآخر وفي الزمن الواحد من وقت لآخر ، بأن هذا التغير يصدر من مفهوم القيمة الجمالية مفهوماً واسعاً فضفاضاً يتسع لجميع القيم، وفي كل العصور ، وهذا لا يمكن تحقيقه لأن القيمة الجمالية لا يحتمل إلا أن تكون دالة على صفة معنية محددة في العمل. (ينظر :عوض، 1994، ص137)

5-كما يلاحظ أننا لا يمكن أن نجزم بصحة النظرية الموضوعية ، ولا نستطيع في الوقت نفسه أن ننكر قوتها في التأكيد على الصفات المحددة الموضوعية للقيمة الجمالية، وفي الحد من تأثير الأحكام الشخصية على الأعمال الفنية فليس كما ثمة مجال يكون كل فرد ملكاً ذا سلطان مطلق، وإن يكن ذلك على نفسه فقط – هذا هو مجال القيم الأخلاقية. (ينظر :عوض، 1994، ص137).

المبحث الثالث :النظرية الذاتية الموضوعية

أولاً: تعريف النظرية الذاتية الموضوعية

تشير الذاتية الموضوعية إلى موقف ثالث يقف بين الموقفين السابقين، أي بين(الذاتية،والموضوعية) وهو على ما يبدو من عنوانها تجمع بينهما في تكوين الأحكام الجمالية. لأن الجمال القائم في موضوعية كاملة لا يفسح الفرصة للتعبير عن حكم الذات الفر دية ،المتسم بالتعبيير وهي قوام الحكم الجمالي السليم الذي يعبر عن أذواق المشاهدين .(ينظر :عباس ، 1987،ص315).

كما تشير، في كلا الحالتين كانت أحكامنا، أما تنشر الفوضى ولا معقولية مما يؤدي إلى ضياع المعايير ،أو تقدم أحكام جامدة عن الموضوع دون خبرة . (ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص163). لأن النظرية الذاتية ترى أن كل شي ء يتوقف على ما تشعر به الذات خلال الخبرة الجمالية ، إما النظرية الموضوعية التي تجاهلت الخبرة الجمالية جاعلة الموضوع هو أساس القيمة الجمالية .(ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص163)

ولهذا السبب جاءت هذه النظرية متجنبة أي موقف متناقض من هذين الموقفين ، للسير وسط بين النظريتين المتناقضتين مستفيدة من الإنجازات الإيجابية لكلتا النظريتين.(ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص163) .

فهي تقف موقف وسط بين النظرية الموضوعية التي ترى الجمال هناك، وأنه من الممكن اثبات صحة الأحكام الجمالية أو بطلانها – والنظرية الذاتية التي تر ى أن الجمال هو في عين الناظر ، وبأن قيمة العمل الفني لا يمكن إثباتها . (ينظر :عوض، 1994، ص142).

ويرى أنصار النظرية النسبية الموضوعية أنه يستطيع تفسير عدد من الحقاق المتعلقة بالتقدير الفني، أكبر ما يمكن تفسره أي من النظريتين المتناقضتين (ينظر :ستولنيتز، 2007، ص623). النقد الفني فهي تعتمد على النتائج الإيجابية لكل من النظرية الذاتية والموضوعية دون ان تقع في نطاق التلفيق . (عوض، 1994، ص142).

ثانيا: أبرز ممثلي الموضوعية

يشير لالو إلى أن علم الجمال لا يتخذ من المجال الطبيعي موضوعًا له ، وانما هو علم موضوعي وذاتي في نفس الوقت دون فصل . بمعنى أن قوانين الجمال ليست خاصة بالمواضيع الذي يتم التفكير فيها فحسب، ولا بالشخص الذي يفكر فيها،وأنما هي علاقة بين بين الجانبين، وصورة للتفاعلات عديدة (فهمي، 2021، ص9-10 .)

كما ترى الانطباعية أو التأثيرية ،بدأت الحركة الانطباعية كنوع من الهجوم على القوالب الكلاسيكية التي سيطرت على الفن التشكيلي في آواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر. الانطباعية ،بدأت المدرسة الانطباعية في الظهو ر حقاً خلال القر ن التاسع عشر ، وهي مدرسة تقوم على تقليد الضو ء عندما ينعكس على أسطح الأشياء باستخدام الأعمال الزيتية . بدأت الثو رة الانطباعية مع الرسام الفر نسي كوبيه الذي قال إن المادة الأولى للفن الصادق والحقيقي، تكمن في الانطباع أو التأثير الذي يحدثه موقف أو مشهد معين في نفسية الفنان ، وقد تختلف جودة التعبير عن هذا الانطباع من فنان لآخر . ومن أبرز فناني هذا الاتجاه ، نذكر

على سبيل المثال لا الحصر بعضاً منهم :إدوارد مانيه، رينوا ر أوغست، بول سيزان، ألفريد سيسلي،غوستاف كاييبوت. (ينظر :الدحاني، 2020 ، ص21-22).

ثالثا:أيجابياتها

هناك العديد من الايجابيات التي أسهمت في بروز الذاتية الموضوعية ومن ، أهمها:

1-ما تريده النظريات الذاتية الموضوعية بصورة عامة هي أن تجمع بين نقيضين ، فتحاول أن تتحدث عن خاصية الموضوع هي القد رة ، وأن تجعل الدليل عليها مأخوذاً من الاستجابة الجمالية.(ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص166)

2- كما تشير النظرية الموضوعية النسبية في كثير من الأحيان الى انقسام الخلاف من خلال القيم موقفاً أفضل مما تقفه النظرية الموضوعية أو الذاتية، وتأخذ هذا الاختلاف على اساس موضوعي . فضلاً عن ذلك إلى تسامحها، وتواضعها عندما يتعلق الأمر في النقد الفني. (ينظر :عوض، 1994، ص 147).

3-أن النظرية الذاتية الموضوعية هي الأقرب إلى التقويم السليم من وجهة نظرنا ، لأنها تأخذ في الأعتبار كلا العنصرين ..(ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص168).

4- كما تحاول ان تكون اكثر تحرراً وشمولاً من النظريتين الموضوعية والذاتية معاً ، وهما النظريتان اللتان تعدهما أضيق مما ينبغي .(ينظر :ستولنيتز،2007 ،ص 624)

رابعاً: سلبياتها

هناك مجموعة من السلبيات ومن ، أبرزها:

أولاً: كما يعترض الاتجاه الموضوعي على النظريات الذاتية الموضوعية التي تتنبأ بما سيشعر به الناس إذا تأملوا الموضوع جمالياً،لكن في الواقع كما يرى الموضوعيون عندما نقول "أ" شيئا ما جميل ، فإننا لا نتطلع إلى سيشعر به الناس الآخرون ، بل نحكم على قيمة متجسدة في الموضوع دون أن نضع في اعتبا ر نا الذات، وما سوف تجده في هذه القيمة ، أو ذاك الموضوع. .(ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص166-167)

ثانياً:أن صاحب النظرية المتطرفة يرى أنه لا فائدة على الإطلاق، أكتشفنا أن عدد كبير من الناس يتفقون على أن هذا الموضوع جميل أم لا لأن الحكم ذاتي فردي.(ينظر :الصباغ ، 1998 ،ص167)

ثالثاً:لقد كانت مجرد جمع بين النظر يتين الأخريين ، حيث موقفها ميئوساً منه منذ البداية . لأن الأفكار الأساسية في النظرية الموضوعية و الذاتية متناقضة منطقيا بعضها مع البعض الأخر.

لذا فإن محاولة التوفيق بينهما غير متسق في داخله ، وبالتالي يكون فيه ضعف يقضي عليه .(ينظر: :ستولنيتز، 2007 ، ص623) .

الخاتمة:

بعد خوضنا في مسارات النظريات التقويمية للحكم الجمالي في الفلسفة المعاصرة، يمكن أن نحدد مجموعة من النتائج ، ومنها:

1-أن علم الجمال في الأصل مفهوم فلسفي يدرس ويحلل شروط ومعايير الجمال ، ونظرياته في الذوق الفني، والأحكام القيمية المتعلقة بالآثار الفنية.

2-أن الحكم الجمالي او حكم الذوق الذي يرتكز على أسس ذاتية، هو حكم تركيبي يضيف الى الموضوع محمولا ،وهو الشعور باللذة او الالالم ولا يمكن البرهنة عليه لأننا لا يمكن حصر جميع الافراد اللذين يحكمون على الموضوع الجمالي.

3-لقد تم التعبير عن النظرية الموضوعية بثلاث طرق وهي: النظرية الحدسية ، ونظرية الخواص المصاحبة ، والنظرية التعريفية .

4-كان الهدف من الذاتية الموضوعية هو(التوفيق)،متجنبة أي موقف متناقض من هذين الموقفين ، للسير في الوسط بين النظريتين المتناقضتين ،مستفيدة من الإنجازات الإيجابية لكلتا النظريتين.

المصادر:

1-الحنفي، عبد المنعم، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، ط3، مطبعة مدبولي، القاهرة ، 2000 .
2-الدحاني،بدر، في فلسفة الفن وعلم الجمال،اليوسيفية ، المغرب، 2020 .
3-أبو ريان، محمد علي، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ،دار المعرفة الجامعية ،إسكندرية ، 1993 .
4-سعيد ، جلال الدين ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، دار الجنوب ، تونس، 2004 .
5-ستولنيتز،جيروم، النقد الفني (دراسة جمالية وفلسفية)،ت: فؤ اد زكريا، ط1، دار الوفا ء، الاسكندرية، 2007 .
6-الصباغ، رمضان، الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، ط1، دار الوفاء، إسكندرية، 1998.
7-عباس، راوية عبد المنعم ، القيم الجمالية ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ،1987 .
8-عوض، رياض، مقدمة في فلسفة الفن، ط1، جروس برس، لبنان ،1994 .
9-لالاند، أندريه،موسوعة لالاند الفلسفية ،ط2، عويدات ، بيروت، مج 1، 2001 .
10-مدكور، ابراهيم ، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ، مصر، 1994 .
11-وهبه، مراد ، المعجم الفلسفي، دار قباء ، القاهرة ، 2007 .
12-- ياسين، حسين سيد، مرسي، أحمد سيد(وآخرون)، العوامل الفلسفية والموضوعية ودورها في التأثير على تحول مفهوم الفن والتصوير في العصر الحديث، مجلة الطفولة ، عدد، 34، 2020 .
13-فهمي، هيام أحمد،التربية الجمالية لبناء جَوَّانيَّة إنسان ما بعد الحداثة(دراسة تحليلية)، مجلة البحث العلمي في التربية ، عدد11، مج 22، 2021 .

Evaluative Theories of Aesthetic Judgment in Contemporary Philosophy

Assist Lect. Baydaa Daoud Salman

College of Education for Women-

University of Basrah

baydaa.daood@uobasrah.edu.iq

Keywords : Subjectivity, Objectivity, Objective subjectivity

Summary:

This study attempts to shed light on (evaluative theories of aesthetic judgment in contemporary philosophy), as a result of the apparent disagreement between the schools of aesthetics. Many artists and philosophers began to make a comparison between the two aesthetics and prefer one over the other. There are two opinions: the first prefers artistic beauty, i.e. (subjectivity, which is one of the directions of artistic expression on various subjects, as it had an impact on free art), and the second supports the beauty of nature, i.e. (objectivity, which deals with the work of art alone, from which the viewer does not receive any indication). Then came T. The theory of objective subjectivity (reconciliation), avoiding any contradictory position from these two positions, to walk in the middle between the two contradictory theories, benefiting from the positive achievements of both theories.